الفصـــل الرابع

التربية الجنسية

ان معرفة الامور الجنسية والميول الحسنة المعقولة نحوها من الامور الضرورية فى بناء الأخلاق . ونحن لانستطيع ان نزعم ان كل ما يلزم للفضيلة هو تلك المعرفة والميول فقط اذ ان هذا تعسف لامبرر له . فالفضيلة ليست قاصرة على الامور الجنسية فحسب بل تتعدى تلك الى مناحى الحياة المختلفة من شخصية واجتماعية . وليس ينتج حتما انه متى كان للانسان ميول حسنة ودراية ومعرفة بطبيعته ان يكون ذلك الأنسان فاضلا . فقد يعقل ان يتوافر له كل ذلك ومع هذا يكون ابعد عن الفضيلة ممن عداه الذين ليس لهم تلك المعرفة وهذه الميول . ومع ان هذا حق لامرية فيه الا ان للمسألة وجهاً آخر يجب ان لا نغفله من حسابنا . وذلك انه يكفى للرذيلة ان يتوافر لها الجهل بالامور الجنسية والميول الرديئة نحوها . يكفى الانسان ليصير شريراً ومعنا فى الشر ان تكون ميوله ملتوية غير مستقيمة فى علائقه الجنسية وان يجهل حق بدنه عليه فى تلك الأمور . لابل نذهب الى ان الرذيلة لايلزمها الا الجهل بالامور الجنسية والميول الرديئة نحوها . وانه لو تجرد الفرد من هذه الميول الحسنة فهو قمين بأن يكون من اتباع الرذيلة . وابعد ما يكون عن الاخلاق والفضيلة

والحق ان من اظهر اخطاء العائلات فى بلادنا هو فشلها المريع فى تربية الاطفال تربية جنسية صالحة . لانه ليس لمثل هذا النوع من التربية مكان فى البيت او فى المدرسة على الاطلاق . ففى كلا هذين المعهدين اغفلنا هذه المسألة من حسابنا كل الاغفال اذ لم يصل الى علمى شىء عن حالة واحدة سواء فى البيوت او فى المدارس حيث عالج المربون والآباء هذه المسألة فى وضح النهار مع اطفالهم . لست انكر انى سمعت بعض المحاضرات هنا وهنالك عن هذا الامر . ولكن المحاضرات فى جوهرها تلقى فى هذا الموضوع بالذات على من لا يحتاجونها كل الحاجة . وعلى هذا نستطيع ان

نؤكد ان كل ما يحصل عليه الصبي فى هذا الصدد هو فى جميع الحالات من طريق غير مباشر . والمعرفة التى يحصل عليها الصبي عن هذا الطريق تكون فى كثير من الحالات مغلوطة ومتحيزة وخطرة وليست تساعد فى بناء اخلاقه

معرفة الامور الجنسية امر محتم

يستحيل على الوالدين ان يمنعوا مثل هذه المعرفة عن ان تصل الى اطفالهم مهما حاولوا واجهدوا عقولهم فى الاحتياط والتكتم .ولن يصلوا الى اغراضهم هذه الا اذا اقاموا سدودا لا منفذ منها بين اولادهم وكل انواع الحياة الاجتماعية من اتصال بالمعاهد وبالافراد . ثم يلزمهم ايضاً اذا اصروا على هذه الحيلولة ان يحتاطوا لأولادهم حتى لا يبلغوا سن المراهقة . هذا ما يلزم الوالدين ان يفعلوه اذا مارغبوا فى ان يبقوا اولادهم فى جهل تام بالمسائل الجنسية . يلزمهم ان يمنعوا الاختلاط بين اطفالهم واى انسان فى الوجود منعاً باتاً . ثم يلزمهم ايضاً ان يحولوا بينهم وبين نموهم الطبيعى الى سن المراهقة . وهذان الشرطان متعذران بطبيعة الحال . وحتى ان لم يكونا كذلك فليس من المرغوب فيهما اذا كان من الممكن توافرهما

طريقة المعرفة

ليس من شك اذن فى ان الولد سيعرف عن الامور الجنسية مايريد ان يعرف هذا امر مفروغ منه . وليس فى امكان اى كائن ان يقف فى طريقه للحصول على هذه المعرفة . فمتى تقرر هذا لا يبقى امامنا اذن سوى التحكم فى كيفية وصول تلك المعرفة الى الصبي. ولن يستطيع الوالدون شيئا سوى توجيه تلك المعرفة الى الوجهة التى يريدونها . يستطيع الوالدون ان يتخيروا الطريقة التى بها يعرف الاطفال خصائصهم الطبيعية . وذلك بأن يسبقوا الحوادث ويسلحوا اطفالهم بالحقائق الثابتة النافعة . فيقيمون سداً محكماً بين الصبي وبين ما يقال فى الشوارع والازقة بين الرفاق والخلان . اما اذا آثروا السكوت والتجاهل فقد تركوهم معرضين لكل رأى فج وفكرة مغلوطة وخرافة جامحة فتتسرب الى اذهانهم البريئة وتفعل فعلها حيث لا يقوى المربون على مقاومتها او التغلب على اضرارها

ولا يحسن بالآباء أن ينسوا أن المعرفة بتلك الامور فى ذاتها ليست مما يضر

بالصبي . وانما ما يضر به حقاً وما يفسد عليه فضائله ليس شيئاً سوى الكيفية أو الوسيلة التي بها يحصل على تلك المعرفة . وحتى على فرض أن المعرفة فى ذاتها تضربه حتما فماذا ترى الوالدين يفعلون ؟ اذ انه من المقرر انه ليس فى امكانهم أن يحولوا بين الاولاد والعلم بالامور الجنسية . فيحسن بالآباء اذن أن يسعوا ليتحكموا فى الطرائق التى بها يصل أولادهم الى العلم بتلك الامور ، تقول هيلين مريك(١) فى هذا الصدد « لا يتوقف انماء الميول الايجابية على المعرفة فى ذاتها فقط بل على الوسيلة التى بها يتم الحصول على هذه المعرفة »

لقد روى احد اساتذة جامعة ييل هذه الحادثة للمؤلف . كان لهذا الاستاذ ولدان . وكان قد اطلع اكبرهما على خصائصه الجنسية وافهمه معنى التطورات الطبيعية التى ستحدث له . فيوماً من الايام دخل الصبي الاكبر على ابيه فى قاعة المطالعة وقال « يا أبى لا بد وأن تطلع اخى الاصغر على كل ما اطلعتنى عليه من خصائص الصبي الجنسية » ولما سأله أبوه لماذا يتحتم ذلك قال الصبي « لقد سمعت اخى الصغير واحد رفاقه يتحدثان بهذه الامور . وكل ما قاله هذا الرفيق لاخى خطأ ومغاير جداً لما اخبرتنى به انت . فاسرع حالا واشرح الامر لاخى قبل أن يتسمم فكره وتفسد ميوله من هذه الوجهة »

يظهر أن الآباء فى بلادنا قد تواضعوا على ان يتركوا اطفالهم ليعرفوا مايريدون معرفته وبالطرق التى يريدونها ايضاً . فهم يعبسون لاى اشارة من هذا القبيل فى البيوت . ثم يغمضون عيونهم عما يجرى بين الأولاد وبين انفسهم . وعما يحدث لهم من هذا القبيل فى الشوارع وفى غير الشوارع . ويظهر أيضا ان ما يهتم له الآباء هو الامور التافهة ليس غير . كتكسير الاوعية . وكالطاعة التى هى من الدرجات السفلى من الفضائل كما يقول (صورز) . اوككثير من الفضائل العرفية التى هى فى الواقع ليست من الفضائل فى شيء

التربية الجنسية فى المدارس

ولو اتجهنا بانظارنا الى المدارس لما وجدنا ان حالها تختلف فى كثير عن حال البيوت

(1) " Intelligent Parenthood " Page 153

لقد أخذت المدارس فى الولايات المتحدة الامريكية توجه جهودها هذه الناحية أما نحن فى مصر فلم يخطر لنا على بال ان لمثل هذه الأمور وجوداً . فالمدارس ليست فى الواقع تقوم على تربية الاطفال بل هى لاتعدو عن ان تحشو ادمغتهم ببعض الحقائق والوقائع التى لاتمت للامور الاجتماعية بصلة . وخصوصاً من جهة العلم بالامور الجنسية فهى فى هذا الشأن لاتحاول ان تقود الجماعة الى ما يصلح من شأنها اخلاقياً . ونستطيع ان نقول ان المدارس عندنا تتبع العرف فيما يريد العرف ان يقودها . وبرامج التعليم عندنا تستمد مادتها من الامور النظرية فى دائرة العقل ومن العرف فى دائرة الأخلاق والفضائل . فما تقول به الجماعة وما توافق عليه الجماهير ذلك تفعله المدارس وتعلمه . وما عدا ذلك فهى كالجماهير سواء بسواء فى انها قليلة الالتفات للامور الحيوية. او كما يقول ليتلتون «كما الجماعة كذلك المدرسة »

ولسنا فى حاجة الى ذكاء خارق للعادة لنعرف ما ترضى به الجماهير . فما على الانسان الا ان يسير لغير غاية فى الشوارع ليرى ويسمع ماتؤمن به الجماهير . فهى تقدس القديم وتعبده . ولا تسمح لفرد ان يند عنه او يشذ . وتقاوم كل جديد على انه بدعة او من فعل الجن والشياطين . فالفرد فى رأى الجماهير يجب ان يلبس هكذا ويتحدث كذلك ويؤمىء بهذه الطريقة ويشير بتلك ويقابل الناس بالشكل الفلانى هذا هو كل ماتدعو اليه الجماهير أما ماكان من السلوك يمس الآداب حقاً ويتصل بالفضيلة اشد اتصال فهى تغمض عنه العين وتتركه لشأنه كأنه لايعنيها فنحن درجنا على ان نترك الأمور الحيوية جانباً ونستمسك بالتافه من السلوك والنشاط . يقول صمويل بطلر « ما يزال الانسان مستعدا لان يبحث الأمور بالنسبة العكسية لاهميتها فما نشعر به منها كل الشعور وما كان منها أقرب الى قرارات عواطفنا ونفوسنا . ذلك بالذات مايدعى العقلاء منا ان لا وجود له البتة وذلك مايعبسون له وما ينهونه عن ان يتحدث الينا بشىء . وذلك بالذات ما يزعمون انه فرغ من أمره من أمد طويل وان لاقول فيه يقال بعد ذلك »

وعلى هذا الأساس . من حيث ان علماء النفس قد تواضعوا على ان الغريزة الجنسية هى من أهم الغرائز ان لم تكن اهمها جميعاً . نقول انه من حيث ان هذه الغريزة

كبيرة الأهمية فنحن ابعد ماتكون عن الرغبة فى درسها وبحثها باى وجه من الوجوه . يقول دورسيه «الحق ان الأصل فى هذا الخبط والخلط هو فى الواقع ذلك التناقض الذى ينتهى بنا الى الطهرية Puritanism فالزواج وضع سماوى والله الحب اله طاهر قدوس . وأما الجنسية فهى دنسة وكوبيد حيوان قذر »

ان الانسان ليتذكر فى هذا المجال تهكمات هربرت سبنسر لستين سنة خلت حيث قال انه لو حفظت كتبنا وبرامجنا المدرسية التى تتعلمها الآن الى أجيال قادمة لظن الخلف ان مثل هذه الكتب والبرامج انما وضعت للممتنعين عن الزواج حقاً ان هذا هو الحال مع برامجنا فى القرن العشرين فى هذه البلاد لأنه يظهر لنا انه لم يخطر ببال من وضوعها ان الصبيان سيتزوجون يوماً من الايام

الغريزة التناسلية

لقد اتكأ فرويد ومدرسته جداً على الغريزة الجنسية . يقول هاد فيلد « لقد جعل اطباء النفس او علماء التحليل النفسانى (Psychoanalysts) على طريقة فرويد كل الاهمية لتلك الغريزة . فهم يعطونها مطاً يشمل كل انواع الشهوات . حقاً ان هذه الغريزة فى عرفهم تنسحب على كل ما تشتهيه النفس . ان لم تنسحب على الحياة فى مجموعها . ولكن مع ان الفرويديين قد غالوا كثيراً فيها الا انه يحسن بنا ان لانسى ان الغريزة الجنسية هى وظيفة الطبيعة الاساسى . كما ان التناسل هو غايتها العظمى » وعلى كل حال فمدرسة فرويد تجد مظاهر تلك الغريزة فى كل نشاط الحياة . فى العقل وفى الواعية وفى العقل الباطن وفى جميع الامراض الاخلاقية والعصبية . وكما يقول دورسيه « لايكاد فرويد يفرغ من امره قبل ان تكون الحياة فى رأيه نوعاً من الغريزة الجنسية » والحال ان الواقع والمنطق لايقبلان هذا المذهب . فان اى محاولة لتفسير الحياة باحدى ظواهرها او دوافعها الطبيعية تنتهى الى الفشل . لأن للكائن الحى أكثر من وظيفة واحدة . وطبيعته مركبة لايستطاع تفسيرها باحدى نواحيها . وعلى هذا يحسن بنا ان نأخذ باراء تلك المدرسة فى كثير النقد والاحتياط

وحال فرويد كحال كثيرين غيره يدفعهم التحمس لارائهم الى كثير من المبالغة والغلو . فليس التحمس نفسه سوى ثورة فى العواطف . ومتى ثارت هذه فقد يصعب

التحكم فيها عن طريق العقل والروية . وعلى اى حال فنحن فى مصر فى حاجة شديدة الى تحمس فرويد ومغالاته فى هذا الموضوع بالذات حتى نصحو من غفلتنا ونتنبه الى الخطر المحدق بنا . ويظهر فى الواقع انه من الصعب ايقاظ الجماهير من دون ان تهزهم هزة عنيفة مع ما فى هذا من خطر . لانه يصعب التحكم فى عواطفها بعد ثورانها وعلى اى حال فليس ثمة كبير خطر فى بلادنا من ذلك . لأن الجماهير لازالت مستغرقة فى النوم بخصوص هذه الغريزة

وهذه الغريزة صعبة ملحفة . ولا يمكن ان تمسك نفسها عن الحصول على غايتها فى اقرب وقت من دون ارشاد ومران مستنيرين . أو كما يقول شابمان وكونتس « تحتاج الى تنظيم فى القوى العقلية والنفسية » الحق ان هذا الموضوع من اساسه يحتاج الى اعادة نظر فى البيت وفى المدرسة . لاننا قد فشلنا الى الآن فى كل الطرق التى استعملناها . فشلنا فى التنكر له وفى تجاهله ومداراته كما فشلنا فى التجهم له . وما نزال الامور تسير من ردىء الى اردأ فى هذا النظام الاجتماعى المعقد . ولم يعد امامنا سوى شىء واحد . الا وهو ان نعالج هذه المسألة فى وضح النهار ونعالجها بعقل وروية بالتعاون العملى مع الصبيان فى دور المراهقة

قد يجوز ان لا يكون فى التجهم للامور الجنسية خطر كبير ما دام الصبيان فى دور الطفولة الاولى . فقد نستطيع ان نترك الطفل فى هذا الدور لشأنه من غير اشارة الى الناحية الجنسية منه . قد يجوز اذا اراد الوالدون ذلك ان يقولوا للطفل ان التاجر او الطبيب هو الذى احضر اخاه الصغير . لاحرج عليهم اذا لم يتحرجوا من الكذب ان يخبروه ان الاطفال يباعون ويشرون عند البدال كما تفعل بعض العائلات . لانه يظهر ان الكذب جائز فى عرف بعض الناس متى كانت الاداب العرفية تتطلبه . اما اذا كانت العائلة من طبعها ان تتورع عن الكذب لاى سبب من الاسباب فليس لها الا ان تنتهر الولد لاسئلته التى تعتبرها خارجة عن دائرة الذوق السليم . وكل ما تستطيعه تلك العائلة هو ان تقول للطفل رداً على اسئلته ان الله هو الواهب للاطفال وهذا حق لكنه يراد به باطل

قلنا فى ما سبق انه لا ينجم كبير ضرر عن ترك الاطفال فى جهل تام بالامور

الجنسية ما داموا فى دور الطفولة الاولى . ومع ان هذا فى جوهره حق الا انه لا يستقيم مع التربية الاخلاقية الحقة لأن مثل هذه الحالة لابد وان يكون لها تأثيرها السيء فى اخلاقه فى مستقبل الايام

المراهقة

أما فى دور المراهقة فيتعقد الأمر كل التعقيد لأن هذا الدور هو مايدعوه علماء النفس بحق دور العواصف والزعازع النفسية . وفيه تنهال المشاكل والصعوبات على رأس الصبي من كل صوب وتتعقد تلك المشاكل وتتطور

التغيرات الطبيعية

فى هذا الوقت تصير للصبي خصائص الرجل الطبيعية وترد عليه التغيرات الجسمية تباعاً متلاحقة . وتأخذه اخذ بغتة من غير مقدمات تذكر فيحار الطفل كل الحيرة ويشعر انه قد صار انسانا جديداً وتتكون لديه رغائب وميول لم يكن له بها عهد من قبل . ويكتشف فى نفسه شعوراً جديداً بذاته وشخصيته وميولا جديدة نحو الاخرين . وكما ان نفسيته وطبيعته تتغيران فى هذا الدور فكذلك يتغير نظره للدنيا المحيطة به . وتتبدل هذه الدنيا فى نظره تبعاً للتبدل الداخلى الذى انتابه . فيشعر ان الناس لم يعودوا الناس كما كانوا . وان الدنيا غير الدنيا . ويصير له فى كل هذه نظرة جديدة عليه فيتأثر بمؤثرات لم تكن تفعل معه شيئاً من قبل . وتجد فيه الرغبة لتلبيات معينة لم يكن له بها عهد . ثم لا يجب ان يعزب عن بالنا تلك الغريزة الجنسية نفسها التى عرضت له بغتة . فلها مطاليب معينة تضغط على الصبي ليستجيب لها حقاً لسنا ننكر ان لهذا التغيير أوجهه الجميلة واختباراته الممتعة والمرغوب فيها ولكن « الاختبارات المؤلمة والسالبة فى دور المراهقة ترجح كثيراً على المرضية والممتعة وتبزها تعقيداً وصعوبة » كما يقول الاستاذ برات فى كتابه

التغيرات فى العقل والشعور

وليست أقل من ذلك التغييرات العقلية . فالعقل فى هذا الدور يكاد يكون فى شبه ثورة ، وينتابه شعور بعدم الرضى والطمأنينة . شعور غير واضح بالحاجة الى شيء مكمل للنفس . وبالحاجة الى شيء لا يدرك الصبي كنهه . والرغبة فى شيء

لا يدرى طبيعته . و يصحب هذه الحالة شعور بالذنب ، اذ يحس الانسان انه أشبه بخاطىء ارتكب اثماً لا يدرى ما هو على التحقيق . ثم يصحب ذلك ايضاً نوع من القلق وعدم الاستقرار لما هو حادث للنفس . خصوصاً متى كان الفرد غير مسلح بالمعرفة اللازمة لهذا الدور

معايير الفضيلة

قيل ايضاً أن دينه ومعيار فضائله ياخذان فى التكون عند المراهقة . ففرويد يظن انه ليس للدين من أصل يبدأ منه سوى التغييرات التى تعتور الفرد عند المراهقة وشرويدر يغالى فى هذه الناحية كثيراً و يبز فرويد . فالدين عنده لا ينبثق الا من الغريزة الجنسية . أما برات فيعتدل فى رأيه و يقتصد . فهو لا ينكر اثر التبدل الذى يحدث عن المراهقة فى الدين والاخلاق . ولكنه يتحرج جداً عن ان يخطو وراء فرويد خطوة أخرى

والحق أن معايير الفضيلة تتبدل عند الفرد فى هذا الدور العصيب . فمن كان خجولا حيياً قد يمكن أن يصير وقحاً قبيحاً . ومن كان طيعاً قانعاً قد يصبح متمرداً عاصياً . فكثير من حالات الرذيلة والاجرام مرجعها الى زمن المراهقة هذا . وقد يمكن ايضاً أن يكون هذا الدور مبعثاً لكل الفضائل الاجتماعية التى توجد فى الفرد يقول الاستاذ كو « ليس احط فى الدنيا من استعمال الفرد للغريزة الجنسية لغايات ذاتية . لأنه علاوة على الشرور الاجتماعية التى تنجم عن مثل هذا الاستعمال فانه يقضى قضاء مبرما على كل المبادىء التى حصل عليها الفرد فى عهد طفولته . والتى أخذت تترعرع فيه وهو يافع . فهذه كلها تذهب هباء بسبب المراهقة التى لم تجد من ينير لها الطريق و يتحكم فى مصيرها »

الاغلب انه ليس من المبالغة فى شىء اذ نقول أن الصبى يخلق خلقاً جديداً فى هذا الدور . فاذا لم يكن هذا حقاً فى نظر الناس فعلى الاقل يكون ذلك شعور الصبى نفسه

حقا انها لمعجزة أن ينجو بعض الشبان من رذائل هذا العهد . ويخرجوا منه اصحاء سالمين . وابعد من هذا فى باب الاعاجيب أن يخرج منه البعض الآخر وهم

على أحسن ما يكونون متانة أخلاق وقوة نفس . ولكن بكل أسف ليس هذا حظ جميع الشبان على السواء . لأن منهم من يذهبون الى الشيطان بسبب هذه التغييرات الطبيعية ولنافى حكاية تاجر شاب بولاية مساتشوستس بالولايات المتحدةعبرة وأى عبرة . فقد عجز هذا الشاب عن تحمل تجاربها المتنوعة فانتحر وهرب من هذه الدنيا . وقد كتب لأمه قبل أن يسعى الى حتفه قائلا « وعلى أى حال يا اماه فقد حافظت على طهارتى » . ولكن علم النفس « قد اوضح لنا ان طهارة الجهول التى يشتريها بثمن هو فقدان الميل الطبيعى لمعرفة الحياة ليست فى الواقع طهارة صحيحة عاقلة »

الامراض العصبية والشذوذ الاخلاقى

ينتج كثير من الامراض العصبية والشذوذ الاخلاقى من هذه العزيزة . وفى الواقع يذهب بعض اطباء العقول كفرويد مثلا الى انه ليس لتلك الامراض من سبب سوى هذه الغريزة بالذات . لان اكبر حرب تنشب فى نفس الصبى هى تلك التى تستعر بين تلك الغريزة بمفردها من ناحية وجميع الغرائز الاخرى من ناحية ثانية . او هى التى تنشب بينها وبين الارادة . وتستعر تلك الحرب فى عواطف الصبى فتصر الغريزة الجنسية على الاخذ بزمام الانسان كله . واما الغرائز الاخرى الغرائز الغيرية والاجتماعية ، فتقاوم لحفظ كيانها ولنوال نصيبها من الالتفات . وهناعند هذا النقطة تنصب الموازين وتعلق الاقدار . لان النفس فى مجموعها ، والقوى الحاكمة فى الفرد ، والارادة على الخصوص تكون على اهبة ان تجوز نار الاصهار او على وشك ان تمتحن الامتحان الاخير الذى عليه قد يتوقف مصير الفرد . وعلى نتيجة تلك الحرب وذلك الاختبار تتعلق مقادير الانسان . فامانصر ونموفى الشخصية والاخلاق ، واما خيبة تتلوها خيبة يعقبها تدهور سحيق . يقول الاستاذ كو « ومن الجهة الأخرى تتبين أهمية المراهقة للأخلاق من كثرة عدد المجرمين الذين يتكونون فى هذا الدور ، ومن كثيرين غيرهم الذين تنبعث فيهم العادات القبيحة والميول الرذيلة كالسكر والاستباحة اللذين لايكاد يكون لهما منشأ سوى دور المراهقة هذا ، وهؤلاء بالطبع هم الذين قد فشلوا فى الامتحان وخرجت نفوسهم وارادتهم مقهورة

على أمرها . وغير هؤلاء نوع من الناس يئد (repress) تلك الغريزة حية . وليس لهذا سوى نتيجة واحدة وهى الامراض العصبية والاخلاقية التى نوهنا عنها فيما سبق . لان وأد الغريزة لايفعل شيئاً سوى ان يزيد الأمور تعقيداً على تعقيد

واننا نرى ان الصبى فى بلادنا على حالته الراهنة ليس مسلحاً أو مجهزاً لتلك الحرب عند شبوبها . وهذا هو السبب الجوهرى فى ان الدائرة تدور على كثيرين منهم ويعرف المؤلف شخصياً بعض الأفراد الذين جنوا لأنهم لم يكن لهم ما به يدرأون الشر عن نفوسهم وليست هذه حالات شاذة لان كتب التحليل النفسى Psychoanalysis والأمراض العصبية Psychotherapy و Psychopathology تفيض بمئآت من أشباه هذه الحالات

أما من الوجهة البيولوجية فليس من ينكر ان مثل هذه الثورة ضرورية للانسان لأن هذا التنبه الجنسى لازم لحياة النوع وبقائه . يقول طوماس « يحسن بنا من هذه الوجهة ان نعلم انه من الخير ان تصحب المراهقة ثورة طبيعية ، لأنه ان لم تحدث مثل هذه الثورة ينقرض النسل ويهلك النوع »

ولكن يجب ان لاينسى الوالدون أيضا ان الطبيعة لاتهتم الا لبقاء النوع . وهذا بالذات ماتفلح فى عمله ، اذ أنها سلحت النوع بدافع قوى قاهر ليقوم بوظيفته المنوطة به . فهى قد سلحت الانسان بتلك الغريزة الجنسية ، ثم حبته أيضاً بالوسائل التى تتطلبها هذه الغريزة . واما ماعدا ذلك من القيود فهو من صنع الجماعة البشرية . فقد رسمت تلك الجماعة حدوداً وقيوداً لهذه الغريزة . وعلى هذا فخليق بالجماعة التى استنبطت هذه القوانين ان تستنبط أيضاً الطرق التى بها تعين الفرد على القيام بما تفرضه عليه . وتنقذه من العوارض العصبية والاخلاقية التى تعتوره من ذلك التضييق . فمن واجب الوالدين اذن ان يجهدوا عقولهم فى البحث عن الوسائل التى بها يرعون أطفالهم ويحوطونهم فى دور المراهقة

ويجدر بالاباء أيضاً ان لاينسوا ان قوة المقاومة تأتى فى الترتيب الزمنى بعد تطور الحاسة الجنسية ، فالتعقل والارادة يأتيان بعد ان تكون تلك الحاسة قد أخذت تفعل فعلها ، اذ لايعقل ان توجد القوى الحاكمة قبل ان يكون لها وظيفة . فالترتيب المنطقى المعقول يستدعى ظهور الحاسة الجنسية أولا . ثم ظهور الارادة

بعدها بمدة قصيرة أو طويلة . فاحرى بالوالدين ان يعينوا أطفالهم فى هـذا الدور ، حيث تكون الارادة والتعقل غير مستعدين للقيام بوظيفتيهما خيرقيام . ولسنا نمل ان نكرر ان وأد هذه الغريزة كما هى العادة المتبعة فى كثير من الحالات من أكثر الامور ضرراً بالاولاد

الطريقة العملية فى التربية الجنسية

لأرباب التربية مايقولونه فى هذا الموضوع . فقد اتفقوا أو كادوا يتفقون على ان الطفل يجب ان يعرف كل الحقيقة بخصوص هذه الوظيفة . واذا تعذر ذلك فى البيت الذى هو أصلح البيئات لمثل هذه التربية ، فليكن ذلك اذن فى المدرسة . ولقد اتفقوا أيضاً على انه « من الضرورى ان يعلم الآباء ان تجاهل الحاسة الجنسية أو الجهل بها هو السبب الأساسى فى شيوع البغاء » كما قرر مؤتمر التربية للآباء والمدرسين فى امريكا . وعلى هذا فيوصى المربون بأن تعالج هـذه المسألة بصراحة وباخلاص ، ومن غير تردد أو خوف . ويدعو بعضهم الى معالجتها فى المدارس بحضور الذكور والاناث من الطلبة فى نفس الوقت . قد يظن البعض منا ان مثل هـذا الرأى متطرف جداً . قد يكون كذلك خصوصاً فى بلادنا حيث يعد طفرة لاننا لم نتعود على الاختلاط الجنسى بعد ، ولاننا لازلنا نشعر ان الجنسين من طبيعتهما عدوان لبعض مقيمان

وعلى أى حال فاننا نستطيع ان نرى الاخطار الكثيرة التى تحيط بالأمور الجنسية اذا ما أحاطت بها السرية والكتمان ، لان تردد المربين فيها يوقظ الشبهات فى نفوس الاطفال ، ويشعرهم انها من الامور المزرية بالشرف والمخجلة . ويحسن بالاباء ان يذكروا القاعدة النفسية « ان السرية تثير الشبهات » .. لقد روى واشبورن القصة التالية . وهى ان احد الاباء المتعلمين أخذ يبدى قلقه وحيرته من جهة نظرة أولاده للحاسة الجنسية مع انه لم يأل جهداً فى تفهيمهم كل خصائص هذه الحاسة ، وانها من الامور الطبيعية التى لاغبار عليها . وبعد ان انتهى واشبورن من تحليل نفسية الوالد اكتشف انه هو نفسه لم تكن اتجاهاته الفكرية مما يؤيد زعمه فى طبيعة الحاسة وبرأتها مما يخجل ويزرى لانه قال بعد حديث طويل

« الحق انى لا أفكر فى هذا الفعل من غير ان أحس نوعا من الاستحياء والخجل » هذا مما يؤيد وجهة نظرنا فى ان الصبيان يكتشفون بطريقة تكاد تكون الهامية ميول مربيهم والقوامين عليهم

يجب ان يصحب التربية الجنسية شعور ببراءتها من كل مايشينها . فليس أضر لهذه القضية من التردد والاستحياء والشعور بالذنب الذى كثيرا مايخامر المتحدثين فيها . يقول واشبورن . « شيئا واحدا لانريد ان نوقظه فى نفس الصبى من جهة هذه الحاسة ، وذلك الشىء هو حب الاستطلاع » وهذا بالذات مايدور عليه الكتاب الذى وضعه القاضى لندزى لأننا لو أيقظنا غريزة حب الاستطلاع فى الصبيان نحو هذه المسألة بالذات فقد أفسدنا عليهم تربيتهم

وتتنبه هذه الغريزة فى الصبى عند مايرى تلجلج المربى ومحاولته لان يدارى بعض الحقائق ، وتردده فى قول الحق ، واحاطته الموضوع بالكتمان ، وتهربه من البحث . وهذه جميعاً توقظ الريبة فى نفس الصبى وتجعله يوطن النفس على النفاذ الى لباب الموضوع عن طريق آخر ، ويشعر ان المربى أو الوالد ليس ممن يحسن الاتصال بهم فى مثل هذه المواضيع ، وتنشب القطيعة بين الاثنين فلا يعودان يكشفان عما يجول فى أفكارهما فى هذا الصدد ، وينفرج الخلف بينهما . وكل هذه الامور مما تفسد على الصبى تربيته الاخلاقية . تلك التربية التى يجب ان تقوم على أساس متين من التفاهم بين الصبى ووليه

ثم ان هذه الظروف جميعاً تنتج الخوف والذعر فى نفس الصبى من ناحية الامور الجنسية ، فتراه يرتعب عندما تعتوره عوارضها ، وينتابه القلق وعدم الاستقرار عندما تتجة افكاره الى الموضوع سواء أكان ذلك الاتجاه بقصد ام بغير قصد ويصير مثله كمثل من يصاب باختلال فى الاعصاب من جراء حادث معين . فيرتعب وتصطك اسنانه عند اى اشارة الى ذلك الحادث بذاته او الى اشباهه . وهذا ايضا حال كثيرين من الاولاد مع الحاسة الجنسية . فتتوتر اعصابهم وتتقلص عضلاتهم ، ويشتد ضغط الدم عليهم ، وتترد انفاسهم بسرعة كأنهم يوشكون ان يقبلوا على امر جلل . وذلك لانهم فقط شعروا ان الحديث او الحوار يكاد ينتقل الى الامور الجنسية . ولقد شهد المؤلف بنفسه بعض الشبان المصريين يغمى عليهم

عندما يسمعون محاضرة فى هذا الموضوع . ولكم من مرة تتملك بعضهم العواطف الحادة فيثورون لغير سبب ظاهر سوى انهم يسمعون حواراً فيه

ومن خير ماقرأت فى هذا الموضوع كتاب بديع للدكتور بنزيون لبير (١) فهو ملىء بالمعانى ومفيد . ففى آخر هذا الكتاب فصل يبحث فى التربية الجنسية . وهو حوار او حديث يدور بين أم وابنتها على موضوع الأمور الجنسية وفى هذا الحديث اورد الدكتور كل الحقيقة من غير مداراة او موارية . ومع ذلك فلست اجد فيه شيئاً يخالف الاداب او الحياء . وعلى اى حال يظهر لنا ان المسألة من البساطة بحيث لاتستدعى كل هذا التردد من الوالدين

والحق ان الانسان ليشعر انه لا يتسنى للوالدين ان يغرسوا الميول الحسنة فى اولادهم دون ان يكون للاباء انفسهم الحظ الاوفر منها . او بعبارة اخرى نرى ان الوالدين انفسهم يحتاجون الى تربية خاصة فى هذا الموضوع . او نستطيع ان نقول ان من يحتاج الى التربية الجنسية قبل غيرهم هم الوالدون وليس احداً سواهم

يحجم بعض الوالدين عن تفهيم اطفالهم وظيفتهم الطبيعية خوفا من احراج الاطفال لهم بالاسئلة فى هذا الموضوع فى حضرة بعض الضيوف . فيقولون فى ذلك انهم مضطرون لمداراة هذه المسائل خوفا من ان يحرجهم اولادهم ببعض الايضاحات امام الناس . لذلك فهم يدارون الحقيقة عن الاطفال . وبعبارة اخرى انهم يقولون باستحالة الشعور ببراءة هذه الحاسة الجنسية ، ذلك الشعور الذى يدعو اليه ارباب التربية ، لانهم اذا انتهروا اولادهم فقد طعنوا هذه البراءة فى الصميم . واما اذا لم يعملوا ذلك فهم مضطرون لأن يتحدثوا الى اولادهم بهذه الامور فى كل زمان وكل مكان

ولكننا نشعر اننا لسنا مطالبين باتباع احدى هاتين الطريقتين المتطرفتين . لاننا نظن انه باستطاعة الوالدين الاذكياء ان يعالجوا هذه المسألة بصراحة تامة وفى وضح النهار من دون ان يتعرضوا للاحراج الذى يخشونه . يجب ان لا ننسى ان للاطفال مدارك بها يميزون ، وان مداركهم تستطيع ان تؤدى وظيفتها فى هذه الحالة متى وجدت المساعدة اللازمة من الوالدين . فهم يعلمون انه ليس من الجائز ان يغتسلوا

(1) Benzion Liber "The Child and The Home"

فى الطريق العام . او يخلعوا ملابسهم فى الشوارع او يناموا على قارعة الطريق هم يعلمون ان مثل هذه الامور تمارس فى البيوت وفى اماكنها المعتادة من غير اعلان عنها . وقياساً على هذا المبدأ يستطيع الوالدون ان يعالجوا الامور الجنسية ، لأن للاطفال منطق ايضاً ، ويجب على الاباء ان يحتكموا الى منطق اطفالهم فى مثل هذه الاحوال

اما من جهة التربية الجنسية ذاتها فطرائقها متعددة والمسالك اليها متنوعة ويستطيع المربون ان يتخيروا احداها من غير كبير عناء . ومن هذه الطرق ما كان مباشراً من غير لف او دوران ، كأن يتحدث الاب الى ابنه فى التغيرات التى ستطرأ على طبيعته واعضاء جسمه بما فيها المظاهر الخارجية للرجولة كالتغيير فى الصوت وبعض مظاهر الوجه ، او بعبارة اخرى يستطيع الوالد او المربى ان يجابه الصبى من غير ان يلجأ الى الامثلة والكنايات

ومن جهة اخرى نجد ان علم الاحياء (Biology) هو من خير العلوم التى تساعد على شرح المسائل الجنسية .فالاطفال يحبون الطبيعة ويعيشون بقربها . وهم لاتفوتهم عملية التناسل فى الحياة المحيطة بهم . لانهم يرونها اثناء تأدية وظيفتها . وهم يشاهدون تناسل النبات وخصوصاً الراقى منه الذى يحتاج الى ذكر وانثى كى ينتج ونظنه ليس من العار ان يخبر الوالد ابنه انه يجب تعاون ذكر النخل وانثاه على انتاج التمر . ويجب فى هذه الحالة ان يساعد الانسان هذا النبات فى هذه العملية بأن يقرب مابين الذكر والانثى منه . نظن ان مثل هذا الحديث ليس مما تحمر له وجوه الكبار

وبعد هذا يتدرج الوالد بابنه الى المملكة الحيوانية حيث يلزم للانتاج ذكر وانثى ايضاً . وهذا ايضاً مما يقع تحت حس الاطفال ومشاهدتهم . وليس مما يستدعى الخجل او الاستحياء . لان هذه العملية لا تتعارض مع الاداب فى شىء . وهى مما يلذ للاطفال الاضطلاع عليها ومراقبتها . ونظنه خيراً لهم ان يعلموا ان الكتكوت الصغير لا يستطيع ان يشب الى هذا الوجود من غير مقدمات . لا يمكنه ان يوجد من غير ذكر الفراخ وانثاه . ولا بد من تعاونهما فى انتاج الصغار

ثم تتلو هذه خطوة طبيعية اخرى ليست أقل روعة من سابقتيها لأنه ليس مما

يضر الطفل ان يعلم ان ذكر الانسان واثناه يجب ان يجتمعا ويتعاونا للتناسل وانتاج الأطفال . وهم لابد عارفون لهذا سواء اراد الآباء ام لم يريدوه . فيحسن ان يطلعوا على هذا من المصادر الغير متحيزة يجب ان يعلموا ان الاب يقدم البذرة كالنخلة والطير والحيوان سواء بسواء . وان الأم تقوم على رعاية الجنين وحمايته وتقديم الغذاء له تسعة أشهر كاملة . وبعد انقضاء هذا الزمن يخرج الطفل الى العالم المنظور . ليس هذا مما يخجل له الآباء او يستحيون

وطريقة مثل هذه يلتذ لها الصبيان ويعجبون . ثم انها تعاونهم فى تربيتهم الجنسية التى هى من الضروريات القصوى لتربيتهم الاخلاقية . علاوة على انها من مقتضيات الجسم السليم والعقل السليم

طرق وقاية المراهقين

بعد ان يتسلح الطفل بهذه المعرفة يصير معها على استعداد تام لمواجهة هذه التطورات فى جسمه فلا يؤخذ على غرة وفى غفلة منه . لابل يفرح ويبشر أباه عندما يبدأ فى هذا الدور . ذلك لأنه ظل يترقبه بانتباه اولا وميول مستقيمة بريئة ثانياً . وليس مايمنعه من ان يسر الى أبيه اوالقائم على أمره بكل التغيرات التى تحدث له . ثم ليس ثمة شيء يحمله علىالتستر ومداراة متاعبه وصعابه التى لابد وان تصحب هذه التطورات

ويكون أبوه قد افهمه مقدماً انه ليس مضطراً للاجتماع الجنسى المادى اضطراراً فلا يعود يستسلم لهذه الحاسة استسلاماً ولا يعود مستبيحا للفضائل والأعراض لأن هذه الاستباحة وذلك الاستسلام فى الواقع ينتجان عن بحثه واستقصائه من الشبان العديمى الاخلاق وقبول نصيحتهم . وفى معظم الحالات لايشير هؤلاء عليه بغير الطريق الوعر الذى يقود الى الرذيلة القبيحة ، ويفهمونه ان الرذيلة هى سنة الطبيعة ولن يستطيع مقاومتها ، وان فى محاولته ان يقف فى وجه الطبيعة يعرض نفسه لكل انواع الأمراض والعلل التى قد تنتهى به الى الجنون

كل هذا محض اختلاق طبعاً ، لأن الطبيعة فى جوهرها تعضد الفضيلة وتثيب عليها بالصحة والعافية والسعادة المنزلية والفردية ثم تثيب عليها بالنسل الذى يخرج

قوياً صحيحاً ممتنعاً على الأمراض الكثيرة . ولكن الطبيعة لاتلهم الفرد بهذه الحقائق ولا تفهمها له بأى حال وانما تترك هذا الامر للقائمين على أمر الصبى ليدلوه عليه ولينيروا له الطريق . ولن يستطيع الاب ان يضطلع بهذه المسئولية الا اذا توخى الصراحة والاخلاص مع ابنه

والناحية السلبية فى المسائل التناسلية لاتغنى كثيراً وبعبارة أخرى لا يجدى ان يمنع الاب ابنه عن الرذيلة باظهار مضارها له . لايكفى ان يقول للصبى لاتفعل هذا ولا تعمل ذاك حتى يكون الصبى بمنجاة من الرذائل . لأن الطبيعة تكره الفراغ وتكره الحياة السالبة التى تصر على انلا تفعل ولا تنشط . ففى هذا قهر للطبيعة وارغام لها على ان تعمل ضد نفسها . وهذا لن يكون

الالعاب الرياضية

اذن لابد من ناحية ايجابية يصرف فيها المراهق ما يفيض عن حياته اليومية من القوة والحيوية والنشاط . لابد وان يكون له مجال يستغل فيه مايتبقى من نشاطه بعد ان يؤدى دورته اليومية فى المدرسة او فى البيت . ومن اهم الأمور فى هذا الصدد ومن اعودها عليه بالنفع والفائدة الألعاب الرياضية . ففيها لذة واى لذة للمراهقين وهى من انواع النشاط الذى يهواه الصبيان ويغرمون به غراماً ، فهى تلتهم وقت المراهقة التهاماً . وتقضى على الفراغ الذى يكاد يكون افتك الآفات بالمراهق

اى نعم الالعاب الرياضية والهواء الطلق والشمس والحقول والطبيعة فيها منجاة للصبى من المخاطر المحدقة به فى سن المراهقة . يجب ان يشجع الصبى بكل الطرق المستطاعة ليلعب كل الألعاب القوية العنيفة وان يخرج الى الطبيعة حتى يتعلم كيف يتعشقها ويحبها لانه علاوة على ما فى هذا الضرب من النشاط من تحويل الفكر عن المسألة التناسلية وتوجيهها الى ناحية أخرى ، فان له فيه ايضاً منبعاً لاينضب من الصحة والعافية . ان الألعاب الرياضية لازمة له فى هذا الظرف لزوم الاكل والنوم فانها تقوى عضلاته وتجعل جسمه قوياً منيعاً

اننا ننصح للآباء ان يهتموا للالعاب الرياضية والاهتمام كله فى هذا الدور لابل نلحف عليهم بالرجاء ان يعيروا هذا الموضوع عنايتهم ويروا لأولادهم حتى

يحصلوا على قسط متناسب من هذا الضرب من النشاط لخير الصبيان انفسهم من جميع النواحى الاخلاقية والصحية والعقلية والاجتماعية . لأن أثر اللعب فى كل هذه امر مفروغ منه ، ولأن معظم علماء التربية قد تواضعوا على ان للعب فى هذه جميعاً الحظ الأوفر

التسامى

وهنالك سبيل آخر يستطيع الوالدون ان يسلكوه حتى يعينوا أولادهم على اجتياز تلك المرحلة بسلام وحتى يستخدموها لتهذيب الأولاد وتثقيفهم . وذلك انه فى استطاعة الصبي الذى يجد مرشداً ومعيناً فى هذه المرحلة ان يتسامى بهذه الغريزة والتسامى هذا (Sublimation) هو عملية بها يحول الانسـان مجرى الغريزة الى ان تنصرف فى الفنون الجميلة من رسم وموسيقى وشعر وكتابة ونحت وتصوير لأنه يظهر فى الواقع ان الجمال هو الصلة المتينة بين الغريزة التناسلية وبين الفنون فكلا هذين يستقيان من مصدر واحد ويرميان الى غاية واحدة وهى حب الجمال والغرام به . ومتى كان الجمال وحب الجمال هو الصلة بين الغريزة التناسلية والفنون الجميلة ـ وهو ما نعتقده ونؤمن به ـ فنظن انه يستوى لدى تلك الغريزة سواء أكانت تنصرف فى الاتصال الجنسى ام فى الفنون وانصرافها فى هذا أو فى ذلك يتوقف فى الواقع على نوع التربية التى حصل عليها الفرد فى طفولته وبعدها

وهذا ما يحدو بنا لأن ندعو الى نوع من التربية مخصوص . هذا ما يدعونا الى أن نؤكد التسامى بهذه الحاسة حتى تنصرف الغريزة الى الفنون الجميلة . ولذلك فاننا نطلب الى الآباء بأن يغرسوا فى نفوس اطفالهم شيئاً من الميل الى تلك الفنون علاوة على تمكينهم من الالعاب الرياضية . والاولاد بطبيعتهم لهم الاستعدادات الكافية لأن يغرموا بالفنون الجميلة . وللاسف كثيراً ما يظن بعض الوالدون أن هذا الغرام مضيعة للوقت . وكثيراً ما يقاومونه ويحاولون قتله فى مهده على انه مضر بهم ومعطل لهم عن دروسهم . ولو دروا لعلموا أن هذا الميل ليس شيئا فى الواقع سوى تساميا بالغريزة التناسلية وليس شيئا سوى أن تلك الغريزة تحاول أن تجد لها منفذاً من نشاط الفرد

يجب أن يكون للولد آلة للتصوير وأخرى للموسيقى وبعض الادوات الاخرى التى قد تنبه فى الطفل الميل الى بعض انواع الفنون الجميلة المتنوعة . وليس يضر فى شيء أن يجرب الطفل كل هذه الادوات ويحاول أن يؤدى بها عملا أو يعبر بها عن معنى يجول فى نفسه . ولا يجب أن يكون الفشل مثبطاً لهمة الأب . بل عليه أن يجرب وأن يحاول أن يفتح أمام ابنه كل الابواب حتى اذا لم يعجب الفتى باباً يلج باباً آخر ، الى أن يستقر على نوع من النشاط يغرم به ويجد فيه متسعاً للتعبير عن خوالج نفسه

وثمة ايضاً مجال للتسامى بهذه الغريزة عن غايتها المادية القريبة . وذلك فى الاعمال الاجتماعية واعمال البر . لأنه لها — علاوة على صلتها القريبة بالجمال — صلة أخرى بغريزة الامومة والابوة . وفى الواقع أن صلتها بهذه قريبة جداً ، ولذلك فاننا كثيراً ما نرى أن رعاية الاطفال البؤساء مثلا يقوم فى احيان كثيرة مقام الزواج عند كثيرين من الرجال والنساء . ولذلك فاننا نشاهد أن كثيرين ممن لم يتزوجوا يلجأون الى هذا الضرب من التسامى . حتى قيل أن احتراف بعض النساء بالتعليم كثيراً مايصرفهن عن الاهتمام بالزواج . وأن اهتمام بعض الرجال بالاصلاحات الاجتماعية يقلل من الحاف الطبيعية عليهم لأن يتزوجوا

فاذا كان هذا هو الواقع فاننا نظن أن اهتمام المراهقين بالخدمة العامة وبالصالح العام يصلح أن يكون سبيلا لهم لأن ينصرفوا عن مطاليب الغريزة التناسلية الملحة أو بعبارة أخرى يصلح أن يكون ميدانا للنشاط يصرفون القوى المتجمعة من هذه الغريزة

وبالاختصار اننا نرى أن توفير أسباب الالعاب الرياضية للصبيان واستطاعتهم لأن يتساموا بهذه الغريزة الى حب الفنون الجميلة والخير العام لجماعة من الجماعات نرى أن كل هذه مع اهتمام الوالدين واتصالهم الوثيق بأبنائهم فى هذه المرحلة — كل هذه العوامل مجتمعة تساعد الاولاد على أن يمروا بهذا الدور ويخرجوا منه اصحاء اقوياء وعلى خلق متين